الفصل السابع
أبو لهب « الإمبريالي »

كان نفر من السفهاء يرمون أبا الأسود الدؤلي بالحجارة، كلما انصرف من صلاة العشاء، فلما أيقن أنه ليس لهم بقية من حياء تردعهم، عاتبهم فقالوا: لسنا نحن الذين نرميك، وإنما الله ـ عز وجل ـ .. قال: كذبتم، لو كان الله يرميني لما أخطأني !

[عن كتاب الأذكياء / لابن الجوزي]

obeikandl.com

obeikandl.com

سورة المسد ـ عند المؤلف ـ مدنية لا مكية، بل إنها نزلت بعد موت أبي لهب عقب غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة.

تلك خلاصة مقال في الكتاب (ص ٤٤ ـ ٥٢) يحمل عنوان « تأملات في حقيقة أبي لهب : يهوذا بني هاشم »، وسبق للمؤلف أن نشر المقال بالعنوان ذاته في مجلة « الدوحة » القطرية قبل توقفها (العدد ٨٥ ـ ربيع الآخر ١٤٠٣هـ/ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣م ـ (ص ٢٢ ـ ٢٥).

ربما تبدو هذه المسألة، مسألة خلاف علمي محدود حول سورة قرآنية : أهي مكية أم مدنية ؟ وهو خلاف مشروع بين أهل العلم ـ إذا توافرت له أسباب صحيحة وأدلة مقبولة ـ . . غير أن القضية عند صاحبنا ليست كذلك، إذ يرمي من وراء مخالفة الحقيقة القطعية المعروفة من أن السورة مكية يرمي إلى القول بأن السورة نزلت بعد هلاك أبي لهب، فالسورة تؤكد موت أبي لهب على كفره وشركه، فلو أنها نزلت قبل وفاته، فإنها تنطوي على جبرية مرفوضة ـ حسب فهم المؤلف ـ بحيث لم يكن في وسع أبي لهب إلا أن يصلى النار، ولم يكن باستطاعته أن يقبل الإسلام ديناً له . . .

* * *

أدلة المؤلف

يحتج المؤلف لما يذهب إليه من مدنية السورة بالأدلة التالية :

١ ـ جاء في السورة قول الله –عز وجل ـ عن أبي لهب :

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾، أي بصيغة الماضي، ولا ترد عبارة ﴿ ما أغنى ﴾ ومثيلاتها في القرآن إلا للدلالة على حدث وقع من قبل، كقوله تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1].

٢ ـ الاحتجاج لمكية السورة بقصر آياتها ليس صحيحاً فهناك سور مدنية قصيرة كسورة النصر، وأما أن السورة نزلت عندما رد أبو لهب على النبي على الصفا في مطلع الدعوة الإسلامية، فكثيراً ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون المناسبات من أجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها.

٣ ـ ورد في الطبقات الكبرى لابن سعد ـ وهو ثقة (!!) ـ أن أبا لهب ناصر النبي بعد موت أبي طالب، فلما عاتبت قريش أبا لهب قال : ما فارقت دين عبد المطلب ولكني أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد فقالوا(!!) : (قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم) .. فمكث الرسول ﷺ أياماً (!!) يذهب ويأتي ولا يعترض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب. وكان أبو لهب في وقت من الأوقات على علاقة طيبة بابن أخيه

(١) سورة الحجر : الآيتان ٨٣ ـ ٨٤.

(الرسول ﷺ) بدليل أن ابنيه: عتبة وعتيبة كانا متزوجين أو مخطوبين لابنتي النبي: الأول لرقية والثاني لأم كلثوم..

٤ ـ الكنية عند العرب تكرمة وإعظام، فما علة تكنية هذا الكافر واسمه الأصلي «عبد العزى»؟ ... وإنما لقبه أبوه بـ«أبي لهب» لحسنه وماله (!!).

٥ ـ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ ربما (!!) كان فيها دليل آخر على أن السورة مدنية لا مكية، وعلى أنها نزلت بعد وفاة أبي لهب، حين انقضت فرصة اعتناقه الإسلام.

٦ ـ أهم الأسئلة حول السورة هو: لِمَ خص الله أبا لهب بسورة من دون سائر المشركين؟ .... صحيح أن الصحابي عبد الله بن مسعود ـ وكان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار في القرآن (!!!) ـ، ذهب إلى أن عثمان بن عفان استبعد أثناء جمعه القرآن (!!)، آيات تلعن الأمويين (!!!) لكنه اتهام غير مقبول، لأن علي بن أبي طالب وكثيراً من الصحابة كانوا أحياء، ولم نسمع أن أحدهم أيد زعم (!!) ابن مسعود.

٧ ـ الذي يفسر تحول أبي لهب من العلاقة الطيبة بالنبي ﷺ إلى العكس هو ماله وامرأته.

فعند نهوض النبي بالدعوة كان الصراع في مكة على أشده، لا بين الأثرياء والفقراء، بقدر ما كان بين واسعي الثراء ومعتدليه، وقلق الأخيرون من الوهن المضطرد في مشاعر التضامن القبلي ... وسرعان ما ظهرت في مكة جماعتان رئيسيتان متنافرتا المصالح هم: بنو هاشم ـ الأقل ثراءً ـ وترأسوا حلف الفضول، مقابل الأحلاف وهو تنظيم أقامه التجار الأثرياء الذين سعو إلى فرض نوع من الاحتكار ... وربما كان من بين بواعث النبي

إلى توجيه أكثر من نصف المسلمين حينذاك إلى الحبشة، رغبته في السعي إلى البحث عن طريق آخر للتجارة غير خاضع لسيطرة كبار تجار قريش، وذلك برغم ما قيل من أن الاضطهاد هو الباعث الوحيد على هذه الهجرة .

ويدعم هذا الافتراض أن جل مهاجرة الحبشة، كانوا أفراد الجماعات الداخلة في حلف الفضول، وأن عدداً منهم بقي في الحبشة إلى السنة السابعة من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة وانقضاء ذلك الاضطهاد.

٨ ـ لكي نفهم موقف أبي لهب ـ حسب رؤية المؤلف ـ يقدم صورة لحصار الشِّعْب الذي تم في مكة مغايرة لحقيقته التاريخية : فالسبب الظاهر لمقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب، هو رفض أبي طالب إسقاط حمايته عن ابن أخيه. مع أنه كان من السهل على أبي طالب أن ينتحل عذراً أو آخر للتخلي عن النبي، لو أنه كان حقاً راغباً في تجنب مقاطعة قريش.

واستمرا ر الحصار ثلاث سنوات دليل على أنه كان لبني هاشم مصلحة حقيقية في موضوع الخلاف (!!) وقد انهارت المقاطعة لانسحاب بعض البطون منها، لأنها أدركت أن نجاحها سيؤدي إلى تعاظم قوة أغنياء التجار.

٩ ـ بعد موت أبي طالب، وانتقال زعامة بني هاشم إلى أبي لهب، تمكنت الأحلاف من شراء ذمة أبي لهب، فخان المصالح الاقتصادية لعشيرته.. وساعدهم في ذلك غرام أبي لهب بالمال وزواجه من أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) وإقناعه بأن النبي سب آلهة عبد المطلب وقال: إن مآله جهنم ....

وقريش لم تكن شديدة التمسك بآلهتها[1]، و يدل على ذلك دعوة الحنفاء إلى التوحيد دون أن يلحقهم أذى، كما يدل عليه التقبل السهل

---

(١) من مضحكات هذا الرجل أنه في ص (٩٦) يؤمن بأن الإسلام حرم التصوير تحريماً قاطعاً، وفي (ص١٤١) يرى أن التصوير حرم في صدر الإسلام في مجتمع كان إلى وقت قريب يعبد الأوثان، أما في حديث صاحبنا هنا عن أبي لهب، فإن قريش تصبح غير مكترثة باوثانها !!!

المذهل من قريش بعد فتح مكة لهدم أوثانها دون أسف ولا انزعاج (!!) ... وإنما كانت مخاوف قريش من النبي سياسية واقتصادية.

ولما توجه النبي إلى الطائف، رفض بنو ثقيف دعوته، مع أن اعتناقهم الإسلام ربما يحررهم من التبعية المالية لقريش، وربما يرجع رفضهم لخوفهم - هم أيضاً - من قيام نفوذ سياسي للنبي ...

ثم نعلم كيف نجحت مفاوضاته (!!!) مع أهل يثرب، الذين كانوا في حاجة ماسة إلى نفوذ سياسي قوي يضع حداً للصراع الدموي بين الأوس والخزرج، وكيف كان أحد عوامل انتصاره في النهاية على مكة تضييق المسلمين الخناق على تجارة قريش، حتى اضطرت إلى التسليم والإذعان (!!) ويختم المؤلف أطروحته قائلاً : « وخلاصة القول أن مثل هذه الخيانة من جانب أبي لهب للنبي من أجل مصلحة مادية أنانية هي على حساب مصلحة عشيرته، وبتأثير قوي من زوجته، هو وحده (!!) ما يفسر لنا ذلك السخط الشديد عليها، مما نلمسه في سورة المسد، والله بعد ذلك أعلم بما أراد ».

* * *

أسطورة الماضي

نعجب من تذرع المؤلف فيما ذهب إليه، بصيغة الماضي ﴿ **تبت** ﴾ و ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ** ﴿٢﴾ ﴾، مع أنه ذكر هو نفسه أن من سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي، في بعض الحالات وهو حاضر أو مستقبل !! والحقيقة هي أن القرآن الكريم استخدم الفعل الماضي للتعبير عن الحاضر أو المستقبل كثيراً، كما ورد فيه عكس ذلك ... كقول الله تعالى :

﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ... ﴿١﴾** ﴾[١].

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ... ﴿٩﴾** ﴾[٢].

فهـا هنا ورد الماضي ﴿ **أرسل** ﴾ وتلاه المضارع ﴿ **فتثير** ﴾ ثم عاد الفعل إلى الماضي ﴿ **فسقناه** ﴾.

ويحدثنا القرآن عن يوم القيامة فيقول :

﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ﴿٩٤﴾** ﴾[٣].

فالخطاب بصيغة الماضي، مع أن يوم القيامة لما يأت بعد !

ويقول عن أسلاف بني اسرائيل في عهد النبي :

---

(١) سورة النحل : الآية ١.
(٢) سورة فاطر : الآية ٩ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ٩٤.

﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾[١].

وفي [سورة يوسف : الآية ٣٦] يقول الذي طلب من النبي يوسف (عليه الصلاة والسلام) تفسير رؤياه :

﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا (٣٦) ﴾.

مع أن الرؤية وقعت في الماضي « رأيتُني »...

ويقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... (١٤٤) ﴾[٢].

وكذلك قول الله ـ جل جلاله ـ :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) ﴾[٣].

مع أن النفخ في الصور سيقع في المستقبل !

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾[٤].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) ﴾[٥].

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴾[٦].

والكافر يندم يوم الحساب حيث لا ينفع الندم، فيقول :

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٧ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٤.
(٣) سورة يس : الآية ٥١.
(٤) سورة الزخرف : الآية ٧٧
(٥) سورة غافر : الآية ٤٩
(٦) سورة الجن : الآية ١٥.

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾[١].

ولست أدري سر تجاهل المؤلف صيغة ﴿ **ما أغنى** ﴾ هنا، مع أنه زعم أن المستقبل منها لم يأت في القرآن إلا بصيغة المضارع ﴿ **لن تغني** ﴾ ﴿ **لا تغني** ﴾!!!

ثم لنتأمل معاً هذه الآيات الكريمة من سورة ق (١٩ ـ ٣٥) :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

ومن رغب في مزيد من الأدلة القرآنية على ما نقول، فليرجع إلى : [الأعراف : ٤٤ ـ إبراهيم : ٢١ ـ الكهف : ٩٩، ١٠٠ ـ طه : ١٢٥ ـ المؤمنون :

---

(١) سورة الحاقة : الآيتان ٢٨، ٢٩.

١١٢، ١١٣ ـ الصافات : ١٢ حتى ٣٤ ـ الزمر ٦٨ حتى ٧٥ ـ المدثر : ٤٢ حتى ٤٧ ـ الدهر أو الإنسان : ١١، ١٢].

وربما كان مما يدخل في باب الطرافة، أن المؤلف في سياق احتجاجاته اللغوية استشهد بقول الله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) ﴾ (١) !!

فهو يستدل بورود ﴿ **ما أغنى** ﴾ هنا على أنها للدلالة على حدث قد وقع من قبل !!! علماً بأن حوار أصحاب الأعراف مع أصحاب الجنة وأصحاب النار سيقع يوم القيامة، ولم يقع من قبل كما زعم الرجل ـ جاهلاً أو متجاهلاً !!! ـ فانقلب الشاهد ضده لا معه .

وهذه الآيات نسوقها كاملة [الأعراف : ٤٤ – ٥١] ليتضح حجم الجهل أو التجاهل ، فهي تشهد بنقيض زعمه :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٨ .

الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) ﴾

وعلى ذكر الفعل الماضي، تحضرني أكذوبة للمستشرق كازانوفا الذي قال طه حسين: إنه فهم القرآن منه ولم يفهمه من الأزهر ... فكازانوفا يزعم أن أبا بكر الصديق أضاف آية :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... (١٤٤) ﴾[1] .

لأن الفعل ﴿ **خلت** ﴾ جاء بصيغة الماضي !!! ونحن نقول هذا لنحمد الله أن منحنا عقولاً سليمة لا تهبط إلى هذا الدرك من العقم المثير للسخرية.

وإلا فما من عربي، يظن أن الرسل لم تكن قد خلت في حياة النبي، ثم خلت بعد انتقاله إلى جوار ربه !!!

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٤٤.

رواية لا تفسير ...

رأينا أن المؤلف يخالف ما ذهب إليه كل المفسرين –أو جلهم – (!!) من أن سورة المسد مكية .. وبعد أن أوضحنا بالأدلة الدامغة تهافت حجته اللغوية، نمضي في مناقشة أدلته ... ونشير أولاً إلى خطأ فادح تكرر في المقال .

فتحديد السور المكية والمدنية علم قائم بذاته من علوم القرآن، وليس من اختصاص المفسرين - حسب زعمه جهلاً أو تجاهلاً - ... كل ما يفعله المفسر هو أن يذكر أن السورة مكية أو مدنية نقلاً عن الرواة، وربما رجح المفسر أحد الجانبين في السور المختلف في مكيتها ومدنيتها .

فما تقول الرواية ؟ ....

يعرض السيوطي لمسألة المكي والمدني في كتابه المشهور « الإتقان في علوم القرآن »[١]، من الصفحة ١١ حتى ٢٤، ويقول : أول ما نزل من القرآن : العلق، ن (أو القلم)، المزمل، المدثر، تبت (أي : المسد) !!.

فسورة المسد مكية - إذاً - بل إنها من أوائل ما نزل من القرآن، فهي خامس سور القرآن من حيث ترتيب نزولها !!.

ويناقش السيوطي[٢] اختلاف العلماء حول المكي والمدني، فيذكر أن المدني المتفق عليه ٢٠ سورة، والمختلف فيه ١٢ سورة، والباقي - ومنه سورة المسد - مكي باتفاق !!! أي أن سورة المسد مكية باتفاق الرواة (هذا طبعاً لأن

---

(١) ط٤ - مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٢) المرجع السابق - ص ١٥ .

السيوطي مات قبل أي يظهر حسين أحمد أمين فيزعم من عنده ياته أن السورة مدنية بل ويحدد تاريخ نزولها بأنه بعد غزوة بدر !!).

إن علم المكي والمدني يقوم على الرواية فهو يشبه التاريخ، فإذا أجمع علماء السلف رواية ودراية على أمر ـ وهم أقرب إلى تاريخ النزول ـ فأنى لرجل يأتي بعد ١٤٠٠ سنة ليخرق ذلك الاتفاق دون أي مستند علمي !!!.

ويمكن لمن شاء التوسع في المسألة بتفصيل أكثر، أن يرجع إلى الكتاب القيم « مباحث في علوم القرآن » للدكتور صبحي الصالح[١] (رحمه الله)، من الصفحة ١٦٤ ـ ٢٣٣.

يضاف إلى ذلك أن آيات سورة المسد تضاهي ما نزل بمكة من القرآن ـ ليس في قصر آياتها الذي يعد قرينة على مكية السورة وليس دليلاً قاطعاً ـ، فالخطاب خاص جداً بل إنه شخصي، أما ما نزل في المدينة فإنه يتجاوز أهل مكة ليعم الناس جميعاً.

الأدهى من ذلك أن المؤلف الذي يتهم الأمة كلها بعدم فهم التطور في الإسلام لأنها لم ترتب الآيات حسب تاريخ النزول « علما بأن ترتيب الآيات توقيفي فعله النبي ﷺ بوحي من الله »، يشكك هنا في أسباب النزول، ويتهم المفسرين باختراعها، وذلك كالعهد به في الكتاب كله : يستشهد بالمتناقضات حسب الظروف والحاجة !! بل إنه يأخذ بأوهى الروايات في أسباب النزول عندما تلائم رأيه المسبق، ويرفض أوثقها عندما تصادم غرضه، كما يفعل المستشرقون تماماً ـ حسب وصف الدكتور الصالح ـ إذ ينكرون الروايات كلها ثم يرتبون القرآن حسب تاريخ النزول بمزاجهم!![٢]

---

(١) ط٩ ـ دار العلم للملايين ببيروت ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧م.

(٢) المرجع السابق – ص ١٧٥.

ولست أدري أي منهج علمي محترم، ذلك الذي يقوم على رد الروايات دون أي حجة ولا دليل، بل بالهوى والتحكم الشخصي، المتمثل في لغة مطاطة مزرية : «فكثيراً ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون الأسباب من أجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها » !!!

إن الرواية التي أنكرها الرجل عن سبب نزول سورة المسد، لم تَرِدْ في كتب أسباب النزول التي تجمع الغث والسمين ـ فحسب ـ، وإنما وردت عند البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل[١]، وهي: (لما أنزل الله: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴿٢١٤﴾ ﴾ أتى النبي الصفا فصعد عليه ثم نادى: « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: « يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغيرَ عليكم صدقتموني »؟ قالوا: نعم، قال: « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴿١﴾ ﴾ ـ اهـ .

ولا أعلم كيف يكون ابن سعد ثقة عنده، حين ينفرد برواية انتصار أبي لهب للنبي بعد موت أبي طالب، ومع ذلك يتجاهل المؤلف أن ابن سعد نفسه أورد في كتابه نفسه « الطبقات الكبرى » سبب نزول سورة المسد مثلما جاء عند الشيخين وأحمد[٢] ؟! لا سيما أن سبب نزولها ورد في الطبقات قبل ١٠ صفحات فحسب من رواية انتصار أبي لهب للرسول ﷺ مما يرفع علامة استفهام كبرى : إذا كان المؤلف قد قرأ الطبقات فكيف تجاهل سبب النزول وابن سعد عنده ثقة ؟ أم أن ابن سعد ثقة وغير ثقة في آن، وذلك بحسب

(١) حياة الصحابة ـ محمد بن يوسف الكاندهلوي ـ ط٧ ـ دار القلم بدمشق وبيروت ـ ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م ـ ج١ـ ص ٩١، ٩٢.
(٢) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ ج١ ـ ص ٢٠٠.

الهوى والمزاج ؟

أم أن المؤلف لم يقرأ الطبقات ونقل عن كاتبين آخرين ؟! بل إن ابن سعد يعدد في الصفحة ٢٠٠ نفسها أبرز أهل العداوة من قريش للنبي في بداية دعوته فيذكر (بالترتيب) : أبا جهل ـ أبا لهب ـ الأسود بن عبد يغوث ـ الحارث بن قيس بن عدي (ابن الغيطلة) ـ الوليد بن المغيرة ـ أمية وأُبَيّ ابنَيْ خلف ....

* * *

obeikandl.com

الأيام تلد أعواما ....

توكأ المؤلف ـ كما مر بنا ـ في معارضته لمكية سورة المسد، على رواية انفرد بها ابن سعد في الطبقات (ج١ص٢١٠ ـ ٢١٢، وبالمناسبة فكل ما أسندناه هنا إلى الطبقات قمنا نحن بتوثيقه، فالمؤلف أعلى شأناً من أن يوثق الأقوال التي ينسبها إلى أصحابها!!) ... ونحن هنا لن نتوقف كثيراً عند هذه الرواية التي لو كانت صحيحة لعلم بها جميع الناس ولنقلها ـ تبعاً لذلك ـ كل رواة السيرة النبوية !.

ولكن أليس من اغتيال الأمانة، أن ينقل المؤلف عن ابن سعد، أن النبي ﷺ ـ بعد قصة انتصار أبي لهب له عقب وفاة أبي طالب ـ مكث أياماً يذهب ويأتي لا يعترض طريقه أحد من قريش، ثم يزعم المؤلف في المقال نفسه أنه فهم من رواية الطبقات أن الأيام هذه كانت عاماً أو بعض عام، سار فيها أبو لهب على نهج أخيه من حماية الرسول ﷺ ؟!... كيف تتحول «أياماً» إلى سنة أو بعض سنة ؟!..

وأين ذهب عقل المؤلف حين يقبل رواية تنسب إلى صناديد مشركي قريش أنهم احترموا موقف أبي لهب حتى قالوا له : « قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم »؟ ولِمَ لَمْ يفعلوا ذلك مع بني هاشم أيام أبي طالب، حيث حاصرتهم قريش إلى أن أكلوا أوراق الشجر ؟!!! وكيف نصدق الرواية اليتيمة، مع أن بني هاشم استجابوا لدعوة أبي طالب لحماية النبي ما عدا أبا لهب[1] ؟!.

---

(١) حياة محمد ـ د. محمد حسين هيكل ـ ط١٦ ـ دارالمعارف بمصر ـ د. ت ـ ص ١٦٣ .

إن رواية ابن سعد ـ لو صحت ـ تشير إلى حماية أبي لهب للنبي أياماً .. فلم لا تكون سورة المسد ـ نقول هذا جدلاً وإلا فالسورة من أوائل ما نزل من القرآن ـ لم لا تكون قد نزلت بعد هذه الأيام التي سبقت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنوات، ازداد فيها أذى قريش للرسول الكريم (برواية ابن سعد نفسه عقب الرواية التي توكأ عليه المؤلف مباشرة !!)، وكان لعمه أبي لهب دور مميز خلالها، فقد كان أبو لهب يتتبع الرسول الذي أخذ يعرض نفسه على القبائل بعد رد أهل الطائف له فيقول لهم أبو لهب : إنه صابئ كاذب [١] !!

ومما يدعو إلى الضحك، قول المؤلف : وكان أبو لهب في وقت من الأوقات على علاقة طيبة بالنبي ﷺ بدليل أن عتبة وعتيبة ابني أبي لهب كانا متزوجين أو مخطوبين لبنتي النبي : رقية وأم كلثوم.

لأن مزاعمه حول مدنية السورة يفترض أن تستند إلى تواريخ دقيقة للأحداث التي يستدل بها، لا أن يقول : « في وقت من الأوقات »!!!.

وتحديد الأزمنة يوضح للقارئ مرة أخرى، أن المؤلف واحد من اثنين : إما جاهل يهرف بما لا يعرف، وإما عارف يزيف الحقائق ويبتر ويزيد عن سابق عمد وتصميم :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظم...

لقد تزوج عتبة بن أبي لهب رقية بنت محمد ﷺ، وتزوج أخوه عقبة شقيقتها أم كلثوم، وذلك قبل النبوة [٢] !!!

---

(١) حياة الصحابة ـ مرجع سابق ـ ج١ ـ ص ١٠٧، وكذلك حياة محمد لهيكل ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٠، ودراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل ط٦ ـ مؤسسة الرسالة ودار النفائس ببيروت ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ ص ٩٠، ٩١.

(٢) نساء فاضلات ـ عبد البديع صقر ـ دار الاعتصام بمصر ـ د . ط ـ د . ت ـ ص ٤٨ ـ ٥٠.

فلما نزلت سورة « المسد » قال أبو لهب لولديه : رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا بنتي محمد ! ففارقاهما ... وقد تزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة مرتين (لاحظوا أن الرواة الذين اتفقوا على أن سورة المسد مكية ومن أوائل ما نزل بمكة من القرآن كانوا ـ كالعهد بهم ـ صادقين .. والهجرة الأولى إلى الحبشة سابقة على غزوة بدر بما لا يقل عن ٩ سنوات !! بل إنها سبقت حصار الشِّعْب وموت أبي طالب وأسطورة حماية أبي لهب المزعومة للنبي أياماً ولدت وكبرت إلى سنوات في خيال المؤلف، وهو خيال خصب حسبما ثبت لنا ....)

ثم هاجرت رقية إلى المدينة المنورة مع زوجها عثمان ، بعد هجرة النبي إليها. وقد أصابتها الحصبة أثناء تجهز النبي ﷺ لموقعة بدر، فخلف عندها عثمان وتوفيت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة !! (أي أن وفاتها سبقت وفاة أبي لهب التي يعتبر المؤلف أن نزول سورة المسد قد تلاها !!).

فهل عرف القارئ الكريم الآن، حقيقة « في وقت من الأوقات » التي جهلها المؤلف أو تجاهلها ؟!.

ولكي يدرك من بقيت لديه ذرة شك، مدى حقد أبي لهب على دين الله، نشير إلى أن أبا لهب حم ومات لما سمع بهزيمة قريش في بدر، بعد أن أبلغه نبأها الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فهلك بعد سبعة أيام[1] !!.

* * *

(١) حياة محمد ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٧.

حماية السين

أما اندهاش المؤلف من إيراد القرآن كنية « أبي لهب » بدلاً من اسمه «عبد العزى » عند العرب، فهو نفسه مدعاة للاندهاش !. وإلا فهل يروم المؤلف أن يقنعنا أن القرآن يذم أبا لهب ويكرمه معاً ؟! صحيح أن الكنية تكريم، لكن ذلك ليس مطلقاً، والقرآن لم يتقيد دائماً بمفاهيم العرب واستعمالاتهم اللغوية.

وليس أدل على ذلك من أن أسماء الأنبياء جاءت في القرآن بالاسم الأول المجرد، ولم ترد كنية أي منهم، حتى إبراهيم وهو نبي وأب لاثنين من الأنبياء الكرام (إسماعيل وإسحق)، ذكر اسمه مراراً (إبراهيم)، وكذلك يعقوب مع أن ابنه يوسف نبي، ومع أن القرآن خص يوسف عليه الصلاة والسلام بسورة كاملة طويلة.

ولقد وقفت مذهولاً أمام ادعاء المؤلف أنه ربما كان في قوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) ﴾ ، دليل آخر على أن السورة مدنية !! وعلى أنها نزلت بعد وفاة أبي لهب !!!

مع أن الآية دليل قاطع آخر على أن السورة نزلت وأبو لهب حي يرزق لأنه لو مات فإنه يعذب في القبر فلا يقال عنه : ﴿ **سيصلى** ﴾ ، وإذا كان المؤلف ربما يرفض الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن عذاب القبر، فإننا نقدم له دليلاً قرآنياً حاسماً ، يقول الله ـ سبحانه ـ :

﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ**

يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[١].

كما أن آية ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾ لها نظائر في قوله تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] التي نزلت في الوليد بن المغيرة، وقد خُطِم بالسيف في بدر[٣]، وقوله ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤] وهي في الوليد أيضاً، وكلتا الآيتين[٥] نزلتا قبل موته !!.

وأما سؤال المؤلف عن السبب في أن الله ـ عز وجل ـ خص أبا لهب بسورة دون سائر المشركين، فهو سؤال يتسم بقلة الأدب مع الله ـ عز وجل ـ لا سيما أن المؤلف يورد أكذوبة واهية عن ابن مسعود وراء سؤاله .. صحيح أنه لم يقبلها، لكن السؤال : ما الداعي إليها طالما أنها غير مقبولة عنده، ولا تخدم أي غرض علمي نزيه؟ ...لن نجيب، فهذا المسلك من أمثال الرجل بات مفضوحاً وهو : أن يقدموا لقرائهم الروايات المكذوبة لإثارة الريبة، ولو أشاروا إلى أنها موضوعة ... ويتبع ذلك سوء أدب مع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، إذ يصفه المؤلف بأنه « كان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار في القرآن » !! فابن مسعود ثقة ـ عند الأمة كلها ـ في رواية القرآن وتفسيره وتعليمه، وهي منزلة لم يكن (رضي الله عنه) ينسبها إلى نفسه من فراغ إذاً !! بل إن معه تزكية يطمع المسلم في عُشْر معشارها!!. إنها شهادات رسول الله ﷺ والصحابة الكرام له[٦].

---

(١) سورة غافر : الآيتان ٤٦، ٤٧ .

(٢) سورة القلم : الآية ١٦ .

(٣) صفوة التفاسير ـ محمد على الصابوني ـ ط١ ـ دار القرآن الكريم ببيروت ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ـ ج١٩ ـ ص ١٩، ٢٠ .

(٤) سورة المدثر : الآية ٢٦

(٥) الصابوني ـ المرجع السابق ـ ج ١٩ ـ ص ٦٧، ٦٨ .

(٦) جامع الأصول ـ مرجع سابق ـ ج ٩ ـ ص ٤٦ ـ ٥٠ .

ففي الصحيحين أن الرسول ﷺ طلب من ابن مسعود أن يقرأ القرآن عليه ... وفي الصحيحين أيضا أن الرسول ﷺ قال : خذوا القرآن عن أربعة : ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبَيّ بن كعب .

وتتجلى أمانة المؤلف وأدبه معاً في قوله : « ولم أسمع أن أحدهم ـ أي الصحابة ـ أيد زعم ابن مسعود » !!! فطالما أن الرواية غير مقبولة فكيف ينسبها إلى ابن مسعود ويسميها « زعماً »[1]؟... ونحنُ نؤكد أن الرواية مفتراة ـ لا غير مقبولة فحسب مما قد يوحي بأنها ضعيفة مثلاً ـ !!

* * *

(١) في ص ٥٨، ٥٩ يحدثنا المؤلف عن ورع ابن مسعود في رواية الحديث النبوي !! مدعياً أن ابن مسعود كان قليل الرواية عن النبي والحقيقة انه روى ٨٤٨ حديثاً [انظر : الزركلي / الاعلام ـ ٤ / ٦٣٧].

وفي الموضع نفسه افترى صاحبنا أن في مصحف ابن مسعود زيادات على مصحف عثمان (ولم يفندها صاحبنا هناك !!) .

obeikandl.com

مسرحية الصراع الطبقي

وهي مسرحية ليس للمؤلف من نصيب « إبداعي » فيها . . . فهو فيها ناقل عن الآخرين ـ كمعظم مقولاته واتهاماته مما سنبرهن عليه في فصل مستقل ـ، لكنه ناقل غير أمين، لأنه لا يذكر الأبطال الأصليين للمسرحية، وإنما ينتحل حينذاك لنفسه أنه مؤلفها ومخرجها « وممثلوها » أيضاً !! . . وسيتضح حينذاك أنه حجب أسماء من سرق المفكرة عنهم من المستشرقين مثل « وات » و« جب »[1] .

وقبل أن نفند مزاعمه تفصيلاً، نسجل تحفظاً واضحاً يقرُّ به كل مسلم صادق الإيمان.

ذلك أن تصوير الدعوة الإسلامية على أنها صراع طبقي (المزري أكثر أن المؤلف يزعم أن ذلك الصراع الطبقي المتوهم لم يكن بين المسلمين والمشركين، وإنما كان بين بني هاشم وغيرهم من تجار مكة معتدلي الثراء، وبين ذوي الثراء الفاحش، أي أن الصورة أسوأ مما لو قيل : إن الإسلام قاد الفقراء ضد الأثرياء كما يزعم المفسرون الماركسيون، فالمؤلف يجعل الإسلام هنا لاعباً لحساب بني هاشم، سوأ في ذلك مسلمهم ومشركهم !!)، نقول : ذلك التصوير مع الادعاء بأن قريشاً كانت حريصة على تجارتها مع استهتار مزعوم منها بأصنامها ومعتقداتها، يؤدي إلى أكذوبة أكبر، هي أن القرآن الكريم مارس الخداع ـ تعالى

(١) من المضحك ان المؤلف يصف كتابات المستشرق اليهودي مكسيم رودنسون عن الرسول ﷺ بانها من الغث الهزيل ص ٤٠ وهو صادق تماماً، لكن كيف يدينها وقوامها التفسير الطبقي للنبوة والتاريخ الإسلامي كله ؟ ومن تناقضات المؤلف أنه يعتمد التفسير الطبقي هنا، ويرفض كتابات الشيوعيين العرب التي تصور الإسلام كحركة اشتراكية !!!

الله عن ذلك ـ على أهل مكة ١٣ سنة (وعلينا ١٤ قرناً) لأنه طمس حقيقة الغاية من الدين الإسلامي، وهي الصراع الطبقي لصالح معتدلي الثراء، وأصر على أولوية العقيدة، وبخاصة توحيد الله ـ سبحانه ـ والإيمان باليوم الآخر !! .. وهذا لا يقول به عاقل ـ حتى من غير المسلمين ـ، لأن من المعلوم في حالات الخصومة العقيدية ـ في كل مكان وكل زمان ـ أن يركز كل طرف على أصدق دعاواه، وعلى أضعف النقاط عند خصمه.

وعلى طريقته في الادعاء يحق لنا أن نسأله : أين تضع عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ـ وهما من أثرياء قريش ـ على خارطة الصراع الطبقي الذي تختلقه مع أنهم ممن أسلموا مبكراً؟ بل إن عثمان هاجر إلى الحبشة مرتين فضلاً عن الهجرة إلى يثرب فيما بعد ؟! وكيف يندرج زيد بن حارثة وبلال الحبشي وآل ياسر وغيرهم من المعدمين والمستضعفين الذين أسلموا مبكراً، كيف يندرجون في الصراع الطبقي مع معتدلي الثراء ؟.....

وكيف تكتشف قريش في وقت مبكر جداً أن الإسلام صراع طبقي ضدها، مع أنه اقتصر في مكة على أمور العقيدة ؟! كيف تعلم قريش ذلك دون أي إرهاصات تنبئ به، مع أنك تستكثر على الله ـ عز وجل ـ أن يعلم أن أبا لهب لن يعتنق الإسلام وسيموت على شركه ؟!.

وما سر عدم دخول أبي طالب في الإسلام، مع أنك تزعم أنه آثر استمرار الحصار في الشِّعْب لمصلحة بني هاشم ؟! ألم يدرك ـ مثلما ادعيت عن بقية قريش ـ أن دعوة ابن أخيه تهدد مصالح أثرياء قريش، مما يوجب عليه أن يعلن إسلامه ؟! أم أنه لم يسلم لأنه لم يفهم حجم مصلحته الطبقية التي حمى النبيَّ لأجلها !!!!!. ولماذا دخل بنو هاشم جميعاً في الشعب باستثناء أبي

لهب؟!.. أو ليس من المدهش أن تتباين مواقف أعمام النبي وبني عمومته من الدخول في دينه؟ فكيف يوفق المؤلف بين :

١ ـ أن أبا طالب منع أذى قريش عن النبي، لكنه مات مشركاً.

٢ ـ أن حمزة أسلم مبكراً (لتكتمل المفارقة المضحكة نقول : ربما كان أوعى إخوته طبقياً !!).

٣ ـ أن أبا لهب ناصب الدعوة الإسلامية العداء منذ البعثة حتى هلاكه !!

٤ ـ أن العباس أسلم في وقت متأخر (بل كان من بين أسرى قريش في يد المسلمين عقب غزوة بدر !!).

٥ ـ أن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عم النبي)، استمر في هجاء النبي سنوات طويلة قبل أن يشرح الله صدره للإسلام !!.

من جهة أخرى ، فإن دعوى المؤلف عن الصراع الطبقي، تتجاهل واقعة تاريخية ثابتة في كتب السرة النبوية، هي عرض قريش على النبي أن يتوجوه ملكاً عليهم أو يعطوه من المال ما شاء، شريطة أن يكف عن آلهتهم !!.

ولما استتب الأمر للدولة الإسلامية، لم يصادر الرسول ﷺ أموال هؤلاء الأثرياء ، بل إنه ﷺ في غزوة حنين تألف قلوب هؤلاء القوم بالعطاء السخي، حتى حزن الأنصار لذلك في أول الأمر !! ... ولو كان ما يزعمه صحيحاً، لتعين أن يصادر النبي ثرواتهم بعد فتح مكة، وهذا ما لم يحدث !! وكيف ينسجم ادعاء الصراع الطبقي، مع سير الأنبياء الذين جاءت قصصهم في القرآن، ولقوا من قومهم عنتاً شديداً، مع أن معظم الأنبياء لم يبعثوا بشريعة تفرض الزكاة على أموال الأثرياء، وذلك بخلاف رسالة محمد ﷺ، لأنها الرسالة الخاتمة.

نحن نعلم أن معظم الذين يبادرون إلى إجابة الأنبياء والرسل هم الفقراء والمستضعفون ـ بفتح العين ـ لأن المال كثيراً ما يحجب رؤية الحق، فضلاً عما في دعوات الرسل الكرام من مساواة إنسانية وقيم نبيلة يفتقدها الفقراء في مجتمعاتهم الجائرة .... لكن ذلك لا يعني أن النبوات تأتي لخدمة الصراع بين الطبقات!!.

***

obeikandl.com

الحلف والهجرة

لقد افترى المؤلف على التاريخ، حين صوَّر حلف الفضول كحلقة في مسلسل للصراع الطبقي بين أثرياء قريش ومعتدلي الثراء فيها.

وحقيقة حلف الفضول ـ كما في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وعند المؤرخ المعروف ابن الأثير ـ أن (قبائل من قريش تداعت إلى ذلك الحلف، فتحالفوا في دار عبد اللّه بن جدعان لشرفه وسنه، وكانوا: بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب ،وتميم بن مرة. فتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه، حتى ترد مظلمته. فسمت قريش ذلك الحلف « حلف الفضول » فشهده الرسول ﷺ وقال ـ حين أرسله اللّه تعالى ـ: « لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد اللّه بن جدعان ما أحب لي أن به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت »)

فالحلف إذاً ـ كما وصفه فضيلة الشيخ محمد الغزالي[1] ـ: « دلالة على أن الحياة مهما اسودت صحائفها، وكلحت شرورها، فلن تخلو من نفوس تهزها معاني النبل، وتستجيشها إلى النجدة والبر. ففي الجاهلية الغافلة نهض بعض رجال من أولي الخير، وتواثقوا بينهم على إقرار العدالة وحرب المظالم، وتجديد ما اندرس من هذه الفضائل في أرض الحرم ».

فهل يصف عاقل اليوم نشاط منظمات حقوق الإنسان لرفع الظلم عن

---

(١) فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ ط٧ ـ ١٩٨٦م ـ دار الكتب الحديثة بمصر ـ ص ٧٤، ٧٥ وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى لابن سعد – ج١– ص١٢٨، ١٢٩.

المظلومين، بأنه صراع طبقي؟!

وكيف يتسق الصراع الطبقي المفترى، مع نفي المؤلف اضطهاد قريش للمسلمين؟! أليس حصار الشِّعب ثلاث سنوات دليلاً كافياً على مدى الأذى الذي ألحقته قريش بالمسلمين؟

إن المسلمين اضطروا أن يهاجروا إلى الحبشة مرتين، وفيهم بعض الأثرياء - أو أبناء الأثرياء وزعماء قريش - كعثمان بن عفان وأم حبيبة بنت أبي سفيان[١] !!!

ويذكر ابن سعد أن المسلمين اضطروا إلى الهجرة ثانية إلى الحبشة، بعد أن ازداد أذى قريش عن ذي قبل[٢] ... بل إنهم عادوا إلى مكة بعد الهجرة الأولى، ولم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار[٣] وكان سبب تلك العودة، شائعة وصلت إليهم، مفادها أن أهل مكة أسلموا !!!.

إننا - إذا نحن انسقنا وراء أساطير المؤلف - يجب أن نفسر خروج المسلمين إلى الحبشة بالبحث عن طريق تجاري لا يسيطر عليه أثرياء مكة، وأن نعلل عودتهم من الحبشة - في المرتين - بأنهم عثروا على الطريق الذي يبحثون عنه - عثروا عليه مرتين !! - وشر المصيبة ما يضحك !.

أما تسمية المؤلف دعوة النبي ﷺ أهل يثرب إلى الإسلام، بأنها مفاوضات، فلن أعلق عليها، لأنني مللت من كثرة ما صادفني من الافتراء المصحوب بقلة الأدب ... فالرجل يفسر الإسلام كله بمنطق الصفقات والمفاوضات !!.

وكيف يدعي أنهم -أي: أهل يثرب -كانوا في حاجة إلى نفوذ سياسي

---

(١) و(٢) و(٣) الطبقات الكبرى - ج١ - ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨

قوي، يضع حداً للصراع الدموي بين الأوس والخزرج، مع أن طلاب المرحلة المتوسطة يعلمون أن أسباب نقمة عبد الله بن أبي بن سلول على الإسلام ورسوله الكريم، تتلخص في أن الرسول ﷺ هاجر إلى المدينة، وابن أُبَيّ يتهيأ لوضع التاج على رأسه بعد اتفاق أهل المدينة على ذلك ؟!.. ثم إن المؤلف ادعى أن الرسول ﷺ توجه إلى الطائف، باحثاً عن نفوذ سياسي قوي، فكيف يعتنق أهل يثرب الإسلام لأنهم يبحثون عن نفوذ سياسي قوي يتمثل في الرسول الكريم وصحبه المهاجرين ، وهو ما يعني أنهم – أي النبي والمهاجرين ومعظمهم من الفقراء أو ممن اضطروا لترك أموالهم في مكة ـ منحوا أهل يثرب نفوذاً سياسياً قوياً، مع أن الرسول – بزعم المؤلف كان يبحث عن هذا النفوذ قبل قليل في الطائف !! فكيف يمنح الشيء من يبحث عنه وهو فاقدٌ له ؟.

وهل كانت انتصارات النبي العسكرية (التي توجت بفتح مكة ذاتها) ناتجة عن تضييقه الخناق على تجارة قريش ؟! وهل يكتب التاريخ بالمزاعم والتخرصات؟!!

وأما ادعاء أن قريشاً كانت لا تقيم كبير وزن لأصنامها وعقائدها[1]، فعدا عن أن القرآن يشهد بعكس ذلك، وكفى به شهيداً لمن كان مسلما حقاً، فإننا نقف أمام شاهد تاريخي ذي دلالة بالغة في هذا الإطار. إن أبا سفيان بعد أن جاء يبحث عن استسلام مشرف، بينما الجيش الإسلامي بقيادة الرسول على مشارف مكة، قال للرسول ﷺ عن النبوة : أما هذه فمازال في النفس منها حاجة !!.

---

(١) ألم يزعم ـ من قبل ـ أن الشعوب المفتوحة خدعت الفاتحين المسلمين وأدخلت عقائدها في صلب الإسلام؟ أفعجزت قريش ـ تبعاً لهذه الأباطيل المضحكة ـ عن دس عقائدها هي أيضاً ؟ أم أنها حاولت وباءت محاولاتها بالفشل، لان عقليتها صحراوية وليست زراعية كشعوب البلدان التي تم فتحها فيما بعد ؟! وأين ذهبت الآيات العديدة التي استشهد بها صاحبنا، وتمثل تنديد القرآن المتكرر بتمسك الجاهليين بعقائدهم الموروثة عن أسلافهم، الا تؤكد هذه الآيات مدى تشبث مشركي مكة بآلهتهم ؟!!

وقبل أن نختم نضطر ـ آسفين ـ إلى السخرية من تعليل سخط الله ـ على أبي لهب، بسبب يتيم (مع أن المنهج العلمي يأبى التفسير بالعنصر الوحيد)، هو خيانته لمصالح عشيرته الاقتصادية، وهو سبب لم يبلغنا القرآن إياه ولا الرسول الكريم ولا الصحابة الكرام، لتتاح فرصة الانفراد باكتشافه أمام كاتب « مستنير » في القرن العشرين، اسمه حسين أحمد أمين !!! أما شرك أبي لهب فليس مدعاة لغضب الله عند الكاتب « المستنير » !!!

وأما قول المؤلف : إن الحنفاء الذين دعوا قبيل الإسلام إلى دين إبراهيم ﷺ، ولم يلحقهم أذى من قريش، فإنه ـ لو صح جدلاً ـ لا ينهض دليلاً على استهانة قريش بمعتقداتها . لأن الحنفاء كانوا أفراداً قلائل متناثرين، لا يشكلون خطراً حقيقياً على هوية المجتمع المكي، مثلهم في ذلك كمثل العناصر القليلة من أهل الكتاب، التي عاشت في مكة، دون أن تشارك قريشاً في تعظيم الأصنام ـ بل ولا تعظم البيت الحرام بخلاف الحنفاء الذين يوقرون المسجد الحرام ـ، ومع ذلك لم تمتد يد قريش إليها بالبطش أو الترحيل على الأقل (لأن بعضهم لم يكونوا من بطون قريش لتحميهم !!) ... إن الإسلام في ذروة قوة دولته، سمح لغير المسلمين من أهل الذمة بالعيش في كنف سلطته، دون إيذاء، فهل يعني ذلك أن المسلمين لا يكترثون بمعتقداتهم التي يخالفهم الذميون في أسسها الكبرى كتوحيد الله ـ سبحانه ـ التوحيد الحق، وكالإيمان بنبوة محمد ﷺ ؟!.

وبالرغم من قلة عدد الحنفاء ومحدودية أثرهم في محيطهم، فإننا نقدم الدليل على أنهم لم ينجوا من بطش قريش.

فزيد بن عمرو بن نفيل، كان ممن اعترضوا على وثنية قريش قبل الإسلام،

فلطمه عمه الخطاب، وحرض عليه سفهاء قومه فآذوه وتألب عليه جمع من قريش فأخرجوه من مكة فلجأ إلى جبل حراء فسلط عليه عمه الخطاب شباناً لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرًّا.(١)

وقد أخرج البغدادي حديث أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قالت: « رأيت زيد بن عمرو قائماً مستنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي الموؤودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: أنا أكفيك مؤونتها » ... فلم يكن الحنفاء جماعة كبيرة يزداد أتباعها، لتخشى قريش منها على وثنيتها، ومع ذلك فإن الرجل الوحيد الذي آمن بدين إبراهيم القائم على توحيد الله رباً وإلهاً، لقي من عمه العنت والاضطهاد !!

* * *

(١) الأعلام - خير الدين الزركلي - ط٥ - دار العلم للملايين ببيروت - أيار (مايو) ١٩٨٠م - ج٣ - ص٦٠ ..... واعتمد الزركلي في هذه المعلومات على الأغاني وطبقات ابن سعد والإصابة وبلوغ الأرب للألوسي وتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء وكلاهما للذهبي وخزانة البغدادي.

القدر ونشرة الطقس !!

بقيت نقطة أخيرة في هذا التفنيد المطول لأسطورة المؤلف القائلة : إن سورة المسد مدنية، نزلت بعد موت أبي لهب ! ... هي تلك المتعلقة بفهمه الخاطئ لقضية القدر والعلم الإلهي، وهي الأساس الذي حفز المؤلف على فبركة نظريته حول مدنية السورة.

إن أي مؤمن بالله ـ عز وجل ـ يعتقد جازماً أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، من الأزل إلى الأبد ... وليس في ذلك أي إجبار للإنسان الذي شاء الله ـ بحكمته البالغة ـ أن يهبه القدرة على الأختيار :

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

أليس من الداعي إلى العجب، أن يزعم شخص مسلم ـ كما يؤكد ـ أن الله ـ عز وجل ـ لا يعلم ما في نفس أبي لهب، من أنه لن يؤمن وسيموت على كفره وعناده؟! أو أن ذلك ـ إذا صح عنده ـ دلالة على الإكراه والإجبار من الله للعبد؟!.. في حين يخطط الألماني – بزعم حسين أمين – لإجازة سيقوم بها بعد خمس سنوات، وينفذ ما خطط له تماماً!!.

إن النشرة الجوية ـ ولله المثل الأعلى ـ تتوقع باستقراء سنن الله في الكون ـ أن غداً يوم ماطر في منطقة ما، ويهطل الغيث فعلاً كما جاء في النشرة، فهل يعني ذلك ـ عند العقلاء ـ أن النشرة الجوية تجبر المطر على الهطول في زمن

(١) سورة البلد : الآية ١٠ .

ومكان محددين ؟!. فكيف بمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟.

إن الخلل يكمن في فهم المؤلف لمسألة القضاء والقدر ومشيئة الله ورضى الله، وليس الخلل في هذه العقائد الصحيحة التي تمنح المسلم ثقة قوية بنفسه وطمأنينة لروحه لا تتوافران لسواه.

نقول هذا مع علمنا بأن المسلمين قد يفهمون هذه العقائد في بعض الحقب فهماً خاطئاً، لكن الإسلام لا يُحاسَب على أخطاء البشر في إدراك حقائقه الجليلة.

وأخيراً: فبالرغم من تهافت منطق المؤلف في تعليله عداوة أبي لهب وزوجه أم جميل للإسلام، فإنه إقرار صريح بأن سيرة لهب كانت مليئة بالعداوة للإسلام ورسوله الكريم، فما علاقة تعليله الواهن بتوقيت نزول سورة المسد: في حياة أبي لهب أو بعد موته؟... فنحن لو سلمنا – جدلاً – بالتفسير الطبقي الداحض، فإنه لا يستلزم تأخر إدانة أبي لهب إلى ما بعد هلاكه (*)!!!.

* * *

(*) من يرجع إلى (دائرة المعارف الإسلامية) التي أعدها عدد من المستشرقين، وبالتحديد إلى الجزء الأول/ ص ٣٩٣ – ٣٩٦، يجد أن أراجيف حسين أمين حول أبي لهب وسورة المسد، مسروقة مما كتبه المستشرق ج. بارث، دون أن يكلف حسين نفسه عناء الإشارة إلى ذلك – تماماً كما فعل بكل الأباطيل التي ملأ بها كتابه – !! وذلك مبلغه من العلم، على نهج سلفه «الباحث العلمي الخالص»: علي عبد الرازق وسيده طه حسين!!.